

أي حضور لفضاء لعب الطفل في المدن الجزائرية في ضوء تحديات الثقافة الحضرية ؟ دراسة ميدانية بالمدينة الجديدة "حملة" باتنة نموذجا -

د. بيبيمون كلثوم

جامعة الحاج لخضر باتنة

ملخص:

يطرح الموضوع المقترح إشكالية حقيقية تتعلق بالهدر الاجتماعي الذي تتعرض له شريحة الطفولة بفعل غياب فضاءات حضرية آمنة قادرة على الاستجابة لاحتياجات الطفل المتعددة، خاصة في ظل مواصفات الثقافة الحضرية السائدة و التغيرات التي تعرفها المدينة الجزائرية سواء من الناحية الديموغرافية ، الاقتصادية و البيئية و وبالأخص الاجتماعية و التي جعلت خروج الطفل و تنقله بمفرده في المدينة مسالة خطيرة ، هذا بالإضافة إلى ازدحام الحركة المرورية بوسائل النقل ، تلوث المحيط، غياب مساحات خضراء نظيفة و آمنة كل ذلك يعبر عن مؤشر حقيقي يعكس تجاهل السياسة الحضرية لاحتياجات هذه الفئة و متطلباتها . إذن ما هو موقف الأسرة الجزائرية من فضاءات اللعب الموجودة في المدن الجديدة ؟ و هل تعتبر فضاء مثالي للتنشئة الاجتماعية في ضوء الثقافة الحضرية السائدة ؟

الكلمات المفتاحية: الطفل ، فضاءات اللعب ، الفضاءات الحضرية ، الأسرة الجزائرية ، التنشئة الاجتماعية ، المدينة ، السياسة الحضرية ، الثقافة الحضرية ، المدن الجديدة .

abstract :

The subject presents a real problem which has to do with socially neglecting children who suffer from the absence of safe urban areas that must be able to provide them with all what they need especially looking at what characterizes the dominant urban culture. Moreover, the Algerian city has been exposed to a big range of demographic , economic, architectural, environmental and especially sociological changes which participated in turning the very simple fact of children "going out" alone as an extremely dangerous question , especially with nowadays traffic jam, environmental pollution and the absence of quite clean safe green spaces .All this represents a real indicator which reflects the ignorance of the urban policy to the needs and demands of this category of citizens. So what is the position of the Algerian family from the playing spaces found in the Algerian new cities? Does it find those spaces adequate for their children social growth in the light of the characteristic of the urban culture ?

key words : child ,playing areas, urban areas, Algerian family, socialization ,city ,urban policy ,urban culture , new cities.

مقدمة

هل هنالك مكان للعب الطفل في مدننا المعاصرة ؟ هو سؤال محوري يستحق الطرح لأنه يثير بالفعل إشكالية واقعية تتعلق بحضور فضاء الطفل في مدننا الجزائرية ، هذا الفضاء الحضري "الحاضر الغائب " في المعاش اليومي للطفل الجزائري من جهة، و المنظومة الثقافية التي تتأسس في ضوئها مكانة الطفل و مفهوم اللعب في الخيال الاجتماعي الرمزي من جهة أخرى . ذلك لأننا إذا نظرنا بعين الملاحظ المتمعن في طبيعة العوامل السوسيوثقافية التي تقف وراء ذلك ، لتسألنا أولا عن المكانة الاجتماعية التي يشغلها الطفل في منظومتنا الثقافية ، لبحث تمثالتها في المؤسسات التنشئية المختلفة و حضورها في الفضاء الحضري على وجه الخصوص ، هذه المنظومة التي تشرف على توجيه تصورات و ممارسات الأسرة الجزائرية لتجعل من الطفل موضوع كل الآمال و الرهانات ، حيث ينشأ هذا الكائن ليجد هويته الاجتماعية جاهزة بل معدة سلفا، و هو مطالب بأداء سلسلة من الواجبات التي يفترض عليه القيام بها عن جدارة، لأنه يمثل أحد أهم موارد الأسرة المعول عليها للتعبير عن رأسمالها الرمزي و نجاحها الاجتماعي ، رغم أن أغلب الدراسات الاجتماعية و التربوية تقر بأهمية اللعب كمحطة أساسية في تكوين شخصية الطفل.

1- مشكلة الدراسة :

تتعامل الأسرة الجزائرية عادة مع اللعب بشيء من قلة الاهتمام نظرا لسيادة الاعتقاد لدى البعض بأن اللعب مجرد مضيعة للوقت ، لأنه يشغل حيزا هاما من اهتمامات الأسرة التي يفترض ملؤها بنشاطات أنفع و أكثر جدية تعود بالفائدة على الطفل و الأسرة معا ، لهذا كثيرا ما تنقيد رغبة الصغار في اللعب بانشغالات الكبار التي لا تُبقي من الوقت الكثير ليُخصص للأطفال ، خاصة مع تزايد وتعدد انشغالات أفراد الأسرة في ظل قيم المجتمع العصري، و مع استمرار حرص الكبار على نظافة و ترتيب الفضاء المنزلي خاصة إذا صادف ذلك ضيق مساحات الغرف و الشرفات في الشقق السكنية العمودية ، تنقيد حرية الصغار في اللعب الحركي داخل المنازل ، الأمر الذي يجعلها عرضة لتأثير وسائل الإعلام و الألعاب الالكترونية المختلفة التي أضحت تشكل جزءا هاما من تكوين الطفل المعرفي ، النفسي و حتى الاجتماعي.

مقابل ذلك شهدت الفضاءات الحضرية في المدن الجزائرية المعاصرة خلال السنوات الأخيرة تحولات بنيوية عميقة مست مختلف جوانبها: الديموغرافية ، الاجتماعية ، الاقتصادية ، العمرانية ، بفعل تسارع وتيرة التحضر و تضاعف معدلات النمو السكاني و الهجرة من الأرياف نحو المدن التي أصبحت مركز استقطاب غالبية السكان الباحثين على فرص أفضل للعمل في ظل توفر المرافق الاجتماعية و الخدماتية الميسرة لأسلوب حياتهم فيها ، لهذا تفاقمت مشكلاتها اجتماعية ، الاقتصادية ، البيئية ، الخدماتية خاصة بعد العشرية السوداء التي عرفتها الجزائر مطلع التسعينات و عليه تزايدت الضغوطات على المدن بسبب نقص المرافق التي لا تتناسب و احتياجات السكان من جهة ، الى جانب ضغط الأحياء المتخلفة على الضواحي من جهة أخرى .

لهذا انتهجت الدولة سياسة المدن الجديدة كبديل استراتيجي لتنمية المدن و تطوير المجال الحضري ، إلا أن الإشكال الذي طرح من جديد هو سوء التخطيط الحضري الذي لم يأخذ بعين الاعتبار احتياجات جميع فئات المجتمع بما فيها فئة الطفولة ، و التي لا تجد فيها المرافق و الفضاءات الآمنة التي تستوعب احتياجاتها ، خاصة أنها تمثل الفئة الأضعف في المجتمع . فمع ازدياد الحركة المرورية بوسائل النقل و المواصلات ، تلوث المحيط ، غياب فضاءات آمنة للعب و مساحات خضراء نظيفة ، أضحي خروج الطفل للعب و تواجده في الشارع بمفرده مسألة خطيرة ، كل ذلك يترجم لنا مظاهر الهدر الاجتماعي التي تواجهها شريحة الطفولة نظرا لتجاهل السياسة

العمرائية و التخطيط الحضري احتياجات الطفولة في تصميم المدن ، حيث تؤسس وفق معايير الفئات البالغة التي غالبا ما تتجاهل البعد الإنساني فيها بفعل ارتفاع صوت "الأنا" مقابل حضور الجانب الطفولي في عالم الكبار . لهذا قبل الاستفسار عن وجود هذه الفضاءات حري بنا طرح التساؤل الآتي : هل أطفالنا يلعبون ؟، هل تنتبى الأسرة الجزائرية الحضرية نشاطات ترويحية محددة للترويج عن أبنائها في ظل مواصفات البيئة الحضرية السائدة ؟، ما طبيعة هذه النشاطات ان وجدت ؟، وما هو موقف الأسرة الجزائرية من فضاءات اللعب الموجودة في المدن الجديدة ؟ هل تعتبر بالنسبة لها فضاء مثالي لتنشئة أبنائها ؟.

لمناقشة حيثيات هذا الموضوع ارتأينا التطرق بالعرض و التحليل لمجموعة من المتغيرات المتعلقة بالموضوع و مناقشتها عبر الدراسة الميدانية التي سنستعرض حيثياته فيما بعد.

2- فضاءات اللعب كمجال مثالي للتنشئة الاجتماعية للطفل في ضوء الفكر السوسولوجي :

لاشك أن اللعب هو نشاط ضروري لتكوين شخصية الطفل يبرز تأثيره منذ سنواته الأولى ، فهو يمثل احد أساليب التنشئة الاجتماعية بامتياز يكتشف الطفل عبره مزايا العالم من حوله فيطور عبر حركاته الجسدية ، تفاعلاته الاجتماعية و خبراته المختلفة التي تنعكس على مهاراته العقلية ، النفسية ، الوجدانية و حتى الاجتماعية التي لا غنى عنها لاستكمال عناصر شخصيته أساس اندماجه و استقراره الاجتماعي

فالتنشئة الاجتماعية هي بمثابة السيرورة التي يكتسب عبرها الفرد العناصر الاجتماعية و الثقافية السائدة في محيطه ، و المتمثلة في المعارف ، النماذج ، القيم و الرموز التي يستبطنها طوال حياته و تمكنه من التكيف و الاندماج في البيئة الاجتماعية التي ينتسب إليها ، حيث يبرز خلال هذه السيرورة عمق تأثير اللعب على شخصية الطفل من أهمية المرحلة العمرية التي يمر بها ، و التي يكون فيها الطفل خاصة خلال سنواته الأولى أكثر طواعية واستعدادا للتعلم ¹.

لذلك فإن التعلم الممزوج باللعب في هذه المرحلة يكون له التأثير البالغ على شخصية الطفل ، لأنه يثير رغبته في الاكتشاف و الاطلاع و يثير شغفه الذي يكون أكثر استعدادا لتلقي المعلومات الجديدة ، خاصة إذا كانت ممزوجة بالحاكاة و المشاركة التي تتطلب استخدام اللمس و الاستمتاع بمشاركة الأهل.

لهذا تبرز أهمية اللعب كنشاط تلقائي ضروري في حياة الطفل يساعده على النمو البدني ، العقلي ، الاجتماعي و اللغوي ، كونه يحاكي قدراته فيمكنه من الانطلاق بحرية و اختبار مواقف جديدة و صعوبات متعددة في ظل الشروط البيئية المتباينة ، بل و أكثر من ذلك يمكنه اللعب من التعبير عن مكوناته في جو المتعة و السرور و تفريغ الطاقة الزائدة التي يحملها جسمه فقد نبه رائد الفكر التربوي الإسلامي "أبو حامد الغزالي" إلى أهمية اللعب في تربية الطفل بعد انصرافه من الدرس لذا ينصح بضرورة الترفيه عنه ، فاللعب حاجة ملازمة لعملية التعلم و هو يلبي مطالب الطفولة في النواحي البدنية و العقلية و النفسية و الاجتماعية و يذكر في هذا الصدد أن منع الصبي من اللعب و إرهاقه في التعليم يميته قلبه و يعطل ذكاءه و ينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا ².

إضافة إلى ذلك يرى كل من شيللر و سبنسر أن الأطفال أثناء لعبهم يتخاطبون و يتبادلون المفاهيم والأفكار مما يجعلهم يتمسكون بالقيم و العادات المتداولة فتتمو بذلك لغتهم و أفكارهم لذا يمكن القول أن اللعب طريق الطفل إلى المعرفة و إدراك العالم الخارجي ، في حين يرى لازاروس أن اللعب هو وسيلة من وسائل راحة العقل و الجسد فقدرات الطفل تتطور بفضل اللعب من الطابع الفردي إلى الطابع التعاوني الذي يكتشف من خلاله ميكانيزمات التفاعل و التناقص في ضوء الجماعة ³.

وبالتالي تتجلى أهمية اللعب في تنشئة الطفل من خلال اكتساب مهارات عدة أهمها:

- اكتشاف قدراته الذاتية من خلال التعامل مع الآخر.
 - يعد فرصة لإبراز طاقاته الكامنة فقد أثبتت الدراسات العضوية العصبية أهمية التأثير النفسي للعب على نمو العقل ، فمن خلاله يطور الطفل قدرته على التخيل ، الإبداع و الابتكار التي تعد ضرورية لاستقراره النفسي و الاجتماعي .
 - يطور الطفل عبر اللعب قدراته الاجتماعية و مهاراته التواصلية في ظل جماعات الرفاق التي تعد فضاءا مثاليا للتطوير فن الحوار مع الآخر.
 - يتعلم عبر اللعب قوانين المشاركة ، التبادل ، التعاون ، العطاء و آداب التعامل مع الآخر في ظل جماعة اللعب .
 - يتعلم كيفية شغل الأدوار و المحاكاة مع الآخر من خلال نسيج العلاقات الاجتماعية التي تتأسس بفضل فضاء اللعب الذي يكون فرصة لتبادل الأدوار و اكتساب خبرات اجتماعية بفضل المواقف المتعددة التي يواجهها في ظل جماعة اللعب
 - يكتشف أنماطا و نماذج سلوكية جديدة كالقيادة ، الولاء ، الاستقلالية والتي تحدد اتجاهاته نحو الأفراد من حوله و البيئة الاجتماعية التي ينتسب إليها .
 - يطور قدراته على التفاوض و اتخاذ القرار الملائم في ظل المواقف المتباينة التي يواجهها مع جماعة اللعب.
 - يكتشف الصعوبات و المشكلات الموجودة في العالم الخارجي و يطور استراتيجيات مواجهتها و السيطرة عليها .
 - يكتشف الضوابط ، المعايير و الجزاءات الاجتماعية السائدة في البيئة الاجتماعية فيتمثلها في سلوكه لاجتماعي باعتبارها أساسية لاستقراره الاجتماعي
 - يتعلم كيفية بناء علاقات صداقة عبر الالتزام بقواعد اللعب .
 - يطور مفاهيمه ، أفكاره ، قيمه الخلقية و الاجتماعية بفضل المواقف التي يمر بها في ظل جماعات اللعب.
 - يطور لغته التعبيرية و الرمزية بفضل العلاقات التي ينسجها عبر فضاءات اللعب.
 - يمكنه اللعب من التعبير عن مخاوفه ، فيتعرف عليها و يتمكن من تجاوزها بفضل المشكلات التي تواجهه.
 - يطور بفضل اللعب الضمير الأخلاقي و اتجاهاته الإيجابية نحو ذاته و نحو العالم من حوله.
- على ضوء ما سبق تبدو فترات اللعب كحظات حاسمة بالنسبة لحياة الطفل لأنها تمكنه من اكتشاف ذاته و العالم من حوله ، خاصة إذا كانت الأسرة واعية بأهمية ترشيد هذه العملية و مشاركة الطفل في مثل هذه النشاطات عبر تمكينه من شغل الأدوار المختلفة التي تسمح له باكتشاف ذاته و تطوير قدراته و مهاراته الإبداعية

3- أين يلعب أطفالنا ؟ موقع فضاء لعب الطفل في ضوء السياسة الحضرية للمدينة :

لا يمكننا التحدث عن التخطيط الحضري للمدينة دون الأخذ بعين الاعتبار منطق التنظيم الاجتماعي للمجال الحضري وفق مجموع الاحتياجات الاجتماعية و الخصائص الثقافية و الحضرية لسكانها . من هذا المنطلق تعتبر التبعات المترابطة عن سوء التخطيط و الادارة الحضرية من أهم العقبات التي تواجه المدن الجزائرية في طريقها نحو التنمية⁴ ، لهذا و لإدراك عمق تأثير هذه العوامل يجدر بنا أولاً بحث خصوصية فالمدينة ظاهرة اجتماعية بامتياز ارتبط وجودها بوجود الإنسان منذ الأزل ، لكن نظرا لاختلاف أنماطها مقوماتها و مظاهر نموها باختلاف المجتمعات التي وجدت فيها ، طرحت إشكالية ضبط المفهوم الذي شهد الكثير من النقاشات الفكرية بين المتخصصين في علم الاجتماع الحضري ، فهناك من يطلق تسمية المدينة على كل تجمع بشري اصطلح قانونيا على تسميته كذلك ، مع أن هذا التعريف لا يستجيب لخواص المدينة التي قد تنشأ دون إعلان رسمي ، لذلك اتفقت أغلب الهيئات الدولية على أن المدينة هي أي مكان يعيش فيه أكثر من 20000 نسمة فأكثر⁵ . وهو التعريف الذي ركز فقط على الناحية الإحصائية التي قد لا تستجيب لجل مواصفات المدينة و التي إذا اتخذناها كمعيار لوجدنا تداخل بينها وبين الكثير من القرى أو حتى المدن وتتنوع أحجامها باختلاف الأقاليم الحضرية المتواجدة بها .

من هنا تبرز أهمية البعد السوسولوجي في تعريف المدينة و التي وصفها روبرت بارك بأنها ليست مجرد تجمعات لمجموعة من الناس يشتركون في المكان و الحياة معا ، بل هي اتجاه عقلي و مجموعة العادات و التقاليد إلى جانب تلك الاتجاهات المنظمة و العواطف المتأصلة في العادات و التي تنتقل عن طريق التقاليد ، فهي منطقة طبيعية لإقامة "الإنسان المتحضر" ، في المقابل عرفها ماكس فيبر في ضوء الأشكال الاجتماعية التي تسمح بالتجديد الاجتماعي و تطوير القدرات الفردية ومنه تطوير الروابط الاجتماعية بين السكان الذي يعتبر شرطا لوجود لمجتمع الحضري ، لذلك تنتظم الحياة بطريقة مختلفة بحسب النظم الثقافية السائدة فيها لتي تعد نتيجة حتمية لتباين السلوك الاجتماعي فيها

لهذا اقترح لويس ويرث رؤية مغايرة للمدينة تتأسس على فكرة اعتبار المدينة أسلوب حياة بالدرجة الأولى لأنها تعبر عن وحدة عمرانية كبيرة نسبيا ، ذات كثافة سكانية عالية ، يسكنها أفراد غير متجانسين اجتماعيا ، وعليه فهو يعتقد أن توسع المدن و نمو حجمها وتتنوع قاطنيتها يؤدي إلى إضعاف العلاقات الاجتماعية بين سكانها التي تصبح أكثر سطحية و نفعية⁶ .

لذا فإذا كانت المدينة تعني أسلوب حياة بالدرجة الأولى فان حضور فضاء الطفل فيها يشكل وحدة أساسية لا يمكن تجاهلها ، خاصة في تخطيط المدن باعتبار الطفل مستقبل المدينة و أسلوب الحياة فيها يتوقف على خصائص و احتياجات ساكنيها على اختلاف فئاتهم العمرية ، غير أنه إذا رجعنا إلى الواقع الفعلي لا عترضتنا تناقضات عدة ، حيث مازالت المدينة في مجتمعاتنا النامية و حتى في بعض الدول المتقدمة تخطط تبعاً لمعايير الفئات البالغة التي تصمم الفضاء وفق مقاييس الكبار فقط ، و التي لا تأخذ بعين الاعتبار احتياجات الصغار ، مواصفاتهم ومتطلبات الحياة المعاصرة ، مع أن هذه الشريحة تمثل الفئة الأكثر ضعفا و عددا بالنظر إلى معدلات النمو السكاني خاصة في مدن الدول النامية .

فغالبا ما ينظر إلى الطفل كوحدة إحصائية منقولة فاقدة للهوية في تصميم المجال الحضري ، لهذا كثيرا ما يطغى الاهتمام بالمؤسسات المدرسية و المرافق الصحية وتغيب بقية المرافق التي تعد أساس تكوين الطفل الثقافي و إعداد الحضاري ، بدءا بمراكز الطفل الثقافية ، القاعات الرياضية ، المكتبات ، المسارح ، الحدائق العامة ، فضاءات خاصة به في مراكز الترفيه و التسوق ، فضاءات اللعب المجهزة و ذات المسالك الآمنة... الخ .

لهذا لا زال التنقل في المدينة يشكل هاجسا كبيرا بالنسبة للطفل الذي لا يمكنه السير بمفرده بسهولة ، خاصة في ظل غياب شبكات مرورية آمنة تمكنه من بلوغ المرافق الاجتماعية المختلفة كالمدارس و المراكز الرياضية و الثقافية دون الحاجة إلى وجود الكبار ، دون الحديث عن فضاءات الترفيه و اللعب التي إن وجدت لا يمكن الوصول إليها دون مرافقة الأهل ، هذا في ظل غياب اعتماد معايير موحدة و إلزامية تحدد آلية التوزيع العادل و المتكافئ للمرافق الخدمائية و فضاءات اللعب التي تضبط المسافة بينها و بين الأحياء السكنية . كل ذلك يجعلنا ندرك الصعوبات التي تعاني منها الأسرة الجزائرية في ضوء بيئة حضرية تتجاهل متطلباتها الأساسية و تجعلها تتخبط في مشكلات مرافقة الأبناء و الحرص على أمنهم و سلامتهم في فضاء الحضري لا يوفر هذه الحاجة الأساسية و حتى البدائل القادرة على استيعابها.

4- تنقلات الطفل في ظل معطيات الثقافة الحضرية "من الشارع إلى الساحات العمومية" :

يقتضي بحث تظاهرات الثقافة الحضرية في المدينة الإدراك العميق لمنظومة القيم الثقافية و الحضارية المؤسسة لقواعد البناء الاجتماعي و الموجهة لسياق التنظيم الحضري و التي غالبا ما تبرز من خلال قيم و سلوكيات الأفراد، الأدوار التي يشغلونها ونسيج العلاقات الاجتماعية الناتجة عنها و التي تؤثر على تنظيم المجال الحضري و تساهم في صياغة أبعادها و أسلوب الحياة فيه .

و قد تنبه عبد الرحمن ابن خلدون إلى ذلك من خلال بحثه في اختلاف اساليب الحياة باختلاف الأنماط الحضرية الموجودة بها ، لهذا ميز بين العمران البدوي و الحضري و نجح في رصد سمات كل منهما من حيث العادات ، الطباع المنتشرة بين أفرادها ، نمط العلاقات السائدة في كل منهما ، المنطقة الجغرافية ، العوامل الاقتصادية و حتى إشكالية الكثافة السكانية بها .

إلى جانبه يبرز إسهام علماء الاجتماع المعاصرين أمثال لويس ويرث و روبرت رادفيلد من خلال تطوير نظرية الثقافة الحضرية في علم الاجتماع الحضري و اعتبار المدينة بمثابة وعاء ثقافي تساهم في عرض الثقافة الحضرية باعتبارها أسلوب حياة ، لتساهم كمتغير أساسي في تفسير الأنماط الحضرية المشكلة لها ، لهذا فإن للبناء الاجتماعي الحضري أهمية حيوية في تشكيل الشكل الحضري السائد الذي يتسم بخصائص معينة ، و لعل أهمها سيادة العلاقات غير الشخصية التي تظهر في شكل التفاعلات و العلاقات المستمرة بين الأفراد كذا درجة التماسك الثقافي بالمركز الحضري يؤثر على كيفية ممارسة الأفراد لأدوارهم ، وعلى نوعية العلاقات الاجتماعية السائدة بين ساكني النمط الحضري و الوافدين إليها من المناطق الريفية . .

كما يعتقد لويس ويرث ان الحجم ، الكثافة ، التغيرات و اللاتجانس متغيرات أساسية تميز المجتمع الحضري ، فكلما كبر حجم المجتمع الحضري اتسع نطاق التنوع الفردي و ارتفع معدل التمايز الاجتماعي بين الأفراد ، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة انتشار العزل المكاني للأفراد و الجماعات على أساس السلالة أو المهنة أو المكانة ، ويؤدي العزل المكاني إلى إضعاف روابط الجيرة و سيطرة العلاقات المنفعة ...⁷

في ضوء هذه المقاربات تتجلى بوضوح رؤية رواد السوسولوجيا الحضرية التي تتأسس على فكرة اعتبار المدينة فضاء لعقلنة الممارسات الحضرية التي تذيب القيم التقليدية و تقوض العلاقات الإنسانية لتصبح أكثر نفعية و مادية ، غير أن البناء الاجتماعي للمجتمع الحضري لا ينشأ من العدم أو يتطور من دون غاية أو هدف ، بل هو نتاج اطر الثقافية و الحضارية ساهمت في بلورته و إعادة صياغته ، و التغيرات التي قد تجرى فيه لا تعني بالضرورة إلغاء مقوماته و استبدالها بأخرى ، فالفضاء الحضري يترجم بصورة أو بأخرى القيم الحضارية التي تؤسسه و تساهم في صياغة تنظيم المجال الحضري وان كان بعض الباحثين امثال عبد الباقي إبراهيم يشير إلى أن

حركة التعمير و البناء تسير بسرعة فائقة في المدينة العربية لترسم صورتها الطبيعية في مدنها وقراها ، بحيث نجد هذه الملامح فقدت الكثير من قدرتها على التعبير عن المجتمع الجديد او عن تراثه الحضاري ، فقد ظلت العمارة العربية تستمد أصولها مما تجود به المؤلفات الغربية دون تعمق و تبصر بما يوجد في تراثنا من ذخيرة وافرة وهي إحدى التحديات التي تواجه المدينة المعاصرة .⁸

لهذا نعتقد أنه و بالنظر إلى التحديات التي تواجهها المدن الجزائرية خاصة مع تسارع وتيرة التحضر ، واتساع وتيرة الهجرة نحو المدن بحثا عن سبل عيش أفضل ، نحو نمط حياة أكثر تعقيدا و أكثر انفتاحا على ثقافات عالمية ، يواجه سكان المدن تعقيدات الحياة الحضرية خاصة في ضوء استمرارية تلك القطيعة بين الأبعاد الثقافية و الحضارية للمدينة الجزائرية و المؤسسات المنتجة لقيم التمدن و التي تساهم في ترسيخ تقاليد الثقافة الحضرية و تكريس أسلوب حياة أكثر مدنية ، لهذا يبرز الخلل من خلال نمط حياة و ممارسات الفاعلين، كيفية شغلهم المجال الحضري ، و طبيعة علاقاتهم الاجتماعية السائدة بينهم .

الأمر الذي يساهم في استجلاء التناقضات و الضغوطات التي يواجهها الكبار و التي تنعكس على الصغار باعتبارهم الحلقة الأكثر ضعفا في النسيج العلائقي المجتمعي ، و في سلم أولوياته ، الأمر الذي يفسر تجاهل حضور الطفل في مدنا ، بالنظر إلى غياب مسالك مرورية آمنة تحترم وجودهم و تتيح للطفل إمكانية التنقل بمفرده أو التواجد في فضاءات للعب حتى يشبع حاجته للحركة ، التجربة ، الاكتشاف والابتكار ، لهذا ينشأ الطفل غالبا عاجزا عن الاستقلال عن عالم الكبار ، لا يستفيد من حقه في اللعب في فضاءات مجهزة و آمنة قريبة من الأحياء السكنية ، فلا يبقى أمامه سوى الشارع او كما يوصف بـ"البرا" أو "الزقة" أو "الطريق" بالتعبير الشعبي المتداول باختلاف المناطق الجزائرية او الساحات العمومية القريبة من المنازل ، والتي لازالت تشكل فضاءا مثاليا للعب يحتل رمزية خاصة في الموروث الثقافي الشعبي من خلال الألعاب التقليدية التي لازالت حاضرة و متداولة في المعاش اليومي ، والذي يمثل بالنسبة للطفل خاصة في الأحياء الشعبية فضاءا للاكتشاف و الانطلاق يتحرر فيه من مراقبة الكبار و يتعلم فيه أولى الدلالات الرمزية لاندماجه في عالم الرجال

مع أن تواجده في هذا الفضاء يبقى خاضع لمراقبة الأم التي تترقب تحركاته و تتابع سلوكياته و تفاعلاته من على الشرفات ، إلا أن حضوره في الشارع بالقرب من المنزل يمنحه مكانة رمزية يتطلع إليها دوما خارج الأسرة ، من خلال العلاقات التي ينسجها مع رفاق اللعب و الأدوار التي يقوم بها في الحي ، من اقتناء مستلزمات البيت البسيطة في غياب الأب ، الإشراف على مراقبة و حماية إخوته الصغار أثناء اللعب ، حراسة عتبة الدار ، اكتساب هويته الاجتماعية في الحي من خلال تعلم الإشراف على تمثين العلاقات الجوارية مع جيران الحي عبر تقديم الخدمات و جلب المستلزمات الضرورية ، وبالتالي سلطة رمزية يتحمس لاكتسابها ، لهذا فهو يتربص تلك اللحظات التي يتعلم من خلالها أولى دلالات توزيع الأدوار و الفصل بين مجالات الذكور و الإناث .

مع أن تواجد الطفل في الشارع قد يجري تثمينه أو نبذه لدى بعض الأسر بحسب القواعد و القيم الثقافية التي تنتبها ، الأصول الاجتماعية التي تتحدر منها و الفئات السوسيومهنية التي تنتسب إليها ، لذلك فهو غالبا ما يعيد إنتاج السلوكيات المتداولة في أسرته و الفضاء الاجتماعي الذي ينتمي إليه . تشير الباحثة نورية بنغبريط رمعون الى أهمية الشارع كفضاء للعب بفعل التحولات التي عرفتتها المدن الجزائرية ، من نزوح ريفي، كثافة سكنية و ضيق السكنات التي جعلت الشارع المكان المفضل للعب طفل ، حيث يتردد عليه بعد أوقات الدراسة و الحضارة ، و يلعب دور قوة محرّكة لسيرورة التنشئة الاجتماعية للأطفال ، مما يمكنهم على المستويين الجسدي و الحسي

حركي من تجريب الحركات و الإشارات المرغوب فيها ، إذ يعتبر ضيق المسكن سببا أساسيا في " طرد الطفل إلى الشارع " ، مع ذلك تشير أن هذا السلوك يلقي نظرة سلبية من قبل العائلة و المدرسة ⁹ .

إن تجاهل الهيئات المشرفة على التخطيط الحضري لحضور الطفل و أهمية الشارع كفضاء للعب و مجال للتنشئة الاجتماعية يعني تفويض دور المنظومة الثقافية المحلية المشرفة على ذلك التي تعد الطفل لاحتلال هذا الفضاء، و بالتالي حرمان الطفل من البدائل التي يتيحها له ، " كمتلقي و فاعل" في الفضاء الحضري ، لأن تواجده في الفضاء العمومي يسهم و بقوة في تمتين العلاقات الجوارية و ترسيخ مفهوم التمدن ، بل تدعيم تملك الفضاء العمومي من خلال إدراك حقيقة تملكه المسبق للفضاء اللعبي ، وعليه فإن وجود الطفل خارج المنزل يساهم في تنظيم المجال الحضري للحفاظ عليه و تعزيز المشاركة المجتمعية لدعم ثقافة التمدن و الحفاظ على بيئة سليمة و أمنة ، لان مستقبل المدينة من مستقبل الطفل و تجاهل البعد الإنساني في المدينة يفقدها شخصيتها .

على ضوء ما سبق يبدو أن حضور فضاء الطفل يكتسب أهميته في السياسة الحضرية و هيكلية المدينة العصرية من الاحتياجات التي يليها في المجتمع وهي كما يلي :

- إن احترام حضور الطفل في التخطيط الحضري يساعد على إعدادا جيل أكثر اكتسابا لسلوك التحضر وبالتالي يصبح أكثر اندماجا مع ثقافة المدينة و أكثر استعدادا للإسهام في تمتيتها على المدى المتوسط و البعيد
- توفير فضاء الطفل يساعد على نموه الطبيعي و تنمية قدراته الجسدية والعقلية و الاجتماعية و بالتالي اعداد مواطن سليم يساهم في تنمية مدينته.
- توفير شبكة مرور ذات مسالك أمنة و فضاءات تنقل مهيأة تجعل من تنقل الطفل بمفرده في المدينة يسيرا، فتمكنه من الاستقلالية بذاته والاعتماد على نفسه .
- توفير شبكة مرور أمنة للطفل تساعد على إعانة الفئات الناشطة من المجتمع من أرباب الأسر وتمكنهم من التفرغ لوظائفهم الإنتاجية و المهنية دون تكبد عناء مرافقة الأبناء و الحرص على آمنهم و سلامتهم أثناء اللعب او التنقل من و إلى المدارس عادة او المركز الأخرى .
- تزويد المدن الجديدة بمرافق ثقافية خاصة بالطفل ، مراكز ثقافية ، مساح ، قاعات رياضية مؤطرة من قبل مختصين تكون قريبة من المدارس و تقع في وسط الأحياء لتكون مركزا للإشعاع الثقافي وتساهم في تشجيع الأسر على تنمية مهارات أبنائها عبرها .

3- فضاءات لعب الطفل بين تناقضات الممارسات الأسرية و إشكالية السياسة الحضرية:

لمناقشة حيثيات الموضوع و رصد طبيعة موقف الاسرة الجزائرية بشأن لعب الطفل في ظل خصائص المجال الحضري في المدن الجديدة ارتأينا انجاز دراسة استطلاعية في أحد أحياء المدينة الجديدة حملة باتنة ، و التي تتوفر فيها بعض الخصائص الاجتماعية و الثقافية الدالة، التي يمكن الاعتماد عليها لرصد طبيعة المواقف و الممارسات الأسرية بشأن النشاطات الترويحية التي تتبناها لتنشئة ابنائها ، وموقفها من لعب الطفل في الفضاءات الخارجية القريبة من مساكنها و علاقة ذلك بمميزات الفضاء الحضري الذي تعيش فيه في المدن الجديدة سواء من حيث خصائص فضاءات اللعب المتاحة لأبنائها و البدائل المقترحة من قبلها.

3-1- المنهج المستخدم و أدوات الدراسة :

طبقت الدراسة المنهج الوصفي لرصد خصائص الظاهرة المدروسة عبر جمع معلومات دقيقة حول صفاتها و مميزاتها قصد التعبير عنها تعبيراً كمياً و كيفياً ، مما يتيح لنا ضبط العلاقة بين المتغيرات المتعلقة بها ، وعليه

بهدف بلوغ هذه الغاية و الوصول إلى بيانات وصفية عميقة ارتأينا تحديد طبيعة النشاطات الترويحية التي تتبناها الأسرة للترويج عن بنائها في ظل مواصفات البيئة الحضرية السائدة ، مع تحديد خصائص المجال الحضرية الذي يميز المدينة الجديدة و مواصفات السكان القاطنين به ، كذلك رصد طبيعة الفضاءات الترويحية المتوفرة في المدن الجديدة و مميزات فضاءات اللعب التي يتردد عليها الأطفال .

و عليه استخدمت الدراسة الاستمارة كأداة أساسية لجمع المعطيات وقد اشتملت على 20 سؤالاً تضمنت ثلاثة محاور أساسية : محور البيانات الشخصية ، محور : طبيعة النشاطات الترويحية التي تتبناها الأسرة لتنشئة طفلها ، محور : خصائص نشاطات لعب الطفل في الحي بالإضافة إلى استخدام أداة الملاحظة العلمية المباشرة المدعمة بالصور الفوتوغرافية التي مكنتنا من رصد خصائص فضاءات اللعب التي يتردد عليها الأطفال يوميا للعب من حيث :

عدها ، مساحتها و كيفية توزيعها بين الأحياء ، الاهتمام بتهيئتها و المحافظة عليها ، تواجد المرافق و تجهيزات اللعب الآمنة ، قربها من المنزل الأسري ، وجود مسالك آمنة تؤدي إليها، قربها أو بعدها من حركة المرور ، مستوى نظافتها .بالإضافة إلى استخدام المقابلة الحرة مع نساء الحي و التي مكنتنا من رصد مواقفهم من الفضاءات التي يتردد عليها أبناؤهم

3-2-التعريف بعينة الدراسة : طبقت في هذه الدراسة العينة القصدية نظرا لاعتمادها على مجموعة من المعايير التي حددت سلفا لانتقاء مفرداتها وحدة التحليل فيها هي الأسر و التي تتوفر فيهم المواصفات الآتية :

- أن تكون مقيمة بالمدينة الجديدة حملة 1 .

- أن تكون أسرة لديها أطفال .

- أن تكون قد استقرت بالحي لمدة سنتين على الأقل للكشف عن علاقة الممارسات الأسرية الترويحية بالفضاء الحضري الذي تعيش فيه ، و تردد أبنائها على الفضاءات الخارجية ، وقد بلغت عدد مفرداتها 50 أسرة .

3-3-خصائص مجال الدراسة :

3-3-1-التعريف بالمدينة الجديدة حملة 1 :

جرت الدراسة في أحد أحياء المدينة الجديدة حملة 1 و التي تمثل الجزء الأول من مشروع المدينة الجديدة حملة الذي جرى انجازه على ثلاثة أطوار ، فقد استفادت الولاية من هذا المشروع السكني في إطار السياسة التنموية التي انتهجتها الدولة لتحسين مستوى السكن من أجل تطوير المدن الجزائرية من جهة ، ومواجهة مشكلات المدن الكبرى المتزايدة من جهة أخرى ، خاصة مع تسارع وتيرة التحضر بفعل ارتفاع معدلات النمو السكاني و تزايد الهجرة نحو المدن التي لم تعد قادرة على استيعاب احتياجات السكان المتزايدة ، وتوفير المرافق و الخدمات الاجتماعية الضرورية لها ، بالإضافة إلى سوء التخطيط الحضري ، وعليه كان هذا المشروع بمثابة البديل الاستراتيجي لفك الخناق على مركز المدينة و إحداث التوازن بينها وبين الأحياء الهامشية التي تحاصرها على الضواحي و تشوه مظهرها العمراني¹⁰، ذلك عن طريق فتح المجال للقطاع الخاص للمساهمة في ميدان الإسكان عبر تطوير صيغ جديدة لبيع السكنات و اقتراح عروض متنوعة تتضمن تسهيلات عديدة تتوافق و مستوى مداخل الأسر الجزائرية ، مع التطلع لإنشاء فضاءات جديدة تراعي الخصوصية الثقافية للمنطقة ، تتمتع بمواصفات السكن العصري لتستجيب لاحتياجات السكان و تسمح بتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية الشاملة للمدينة .

3-3-2- أهم مميزات المجال الحضري في المدينة الجديدة حملة 1:

تصنف المدينة الجديدة حملة 1 ضمن المدن التي أسست لتخفيف الضغط السكاني و حل أزمة السكن بالولاية ، وقد اشتملت على أكثر من 20 حيا سكنيا أغلبها مأهولة بالسكان ، تتوسطها الممرات الرئيسية التي تتواجد بها أربع اقامات جامعية و تجمع لسلسلة من المحلات التجارية التي تتواجد اسفل العمارات على طول الممرات الرئيسية التي ساهمت و بشكل كبير في تفعيل الحركة التجارية بالمنطقة ، إلى جانب وجود قاعة متعددة الرياضات ، ثانوية ، متوسطة ، مدرستين ابتدائيتين ، مركز شرطة ، مركز امتحانات تعليم السياقة إلى جانب ذلك مجموعة من المرافق الخدماتية الهامة التي لم تفتح أبوابها بعد كقاعة للعلاج ، سوق مركزي ، مركز للبريد و لمواصلات ، مجمع محلات مخصصة لتشغيل لشباب إضافة إلى مرافق أخرى لم تجهز بعد ، وهو ما يجبر السكان على التنقل اليومي إلى مركز المدينة لفضاء حاجياتهم الأساسية ، الأمر الذي يؤثر وبشكل كبير على جاذبية المدينة الجديدة التي تحولت تدريجيا الى مجرد مرافق فاقدة للحركة الاجتماعية و الثقافية التي تبعث فيها معالم الحياة .

3-3-3- خصائص فضاءات الأطفال في المدينة الجديدة حملة 1 :

عمدت الدراسة إلى رصد خصائص فضاءات الطفل الموزعة في المدينة الجديدة من حيث عددها ، مواصفاتها و كيفية توزيعها ووضعية مرافق اللعب فيها و قد تجلت نتائج الدراسة الاستطلاعية كما يلي :

1- مجموع فضاءات اللعب في المدينة الجديدة حملة 1 لا يتجاوز ثلاث فضاءات كما توضحها الصورة في (الشكل رقم 01) و هو عدد قليل بالنظر إلى عدد الأحياء السكنية الذي يقارب 20 مجمعا سكنيا تقريبا جميعها مأهولة ، حيث لم تلتزم أغلب الهيئات المشرفة على إنجاز المشاريع السكنية بتوفير فضاءات خاصة بالطفل و حتى توزيعها وفق مقاييس مدروسة ، إذ بقيت مسالة وضعها كخيار ثانوي جري التخلي عنه بسهولة في أغلب الأحياء ، و ركزت في الغالب على تجهيز المرافق السكنية ، التعليمية و كذا الصحية مع هيكلة الفضاء العمومي ليستجيب لحاجات الكبار كمواقف السيارات و الطرق العمومية بعض المساحات الخضراء الموزعة ، في حين لم تول أهمية لفضاءات التثقيف ، التسلية و الترفيه سواء بالنسبة للكبار او الصغار ، لهذا لم يبق أمام الأطفال سوى اللعب في الساحات العمومية وسط العمارات و بين مواقف السيارات ، مما يعطينا صورة على تهميش احتياجات الطفل في هيكلة الفضاء الحضري .

(الشكل رقم 01) صور توضح وضعية إحدى فضاءات لعب الأطفال المتواجدة في المدينة الجديدة حملة 1



المصدر ، الباحثة ، المدينة الجديدة حملة 1 ، 2014/03/24

2- نظرا لقلّة عدد فضاءات لعب الأطفال المهيّئة و المجهزة بمرافق اللعب ، و عدم توزعها بشكل عادل بين الأحياء ، عرفت الأحياء التي تتوفر فيها هذه الفضاءات ضغوطات كبيرة و تواجد مكثف لأطفال الأحياء الأخرى ، الأمر الذي ولد شجارات بين سكان الأحياء على حد تعبيرهم ، كل ذلك حملهم على إنتاج رموز خاصة بهم في ظل الأحياء المغلقة التي ولدت نسقا مغايرا من العلاقات الداخلية في غياب مؤسسات ثقافية و جمعيات الأحياء الفاعلة التي تشرف على تأطيرهم و توجيه سياق تفاعلاتهم الجمعية لتنمية الثقافة الحضرية لديهم و تسهيل اندماجهم و مشاركتهم في تنمية المدينة لا تكريس عزلتها.

3- قصد توفير الأمن و الحماية للأطفال أثناء اللعب خارج السكنات ووسط الساحات العمومية ، لجأ أغلب السكان في مختلف الأحياء السكنية بمجمع حملة 1 إلى تسييج الأحياء بأسيجة فولاذية شبيهة بالمحتشدات لحماية الأطفال و الممتلكات نظرا لغياب الأمن ، خاصة مع عزلة مداخل السكنات البعيدة عن الطريق الرئيسي أين تتمركز المحلات مركز الحركة التجارية في المجمع السكني ، وبالتالي مع بعد المرافق و قلة الحركة زادت معالم عزلة الأحياء و زاد تهميش فضاءات الطفل فيها (الصورة 2 و 3) .

(الشكل 02) : صور توضح لجوء السكان الى تسييج الأحياء السكنية بالأسوار الفولاذية لحماية الأطفال و الممتلكات .



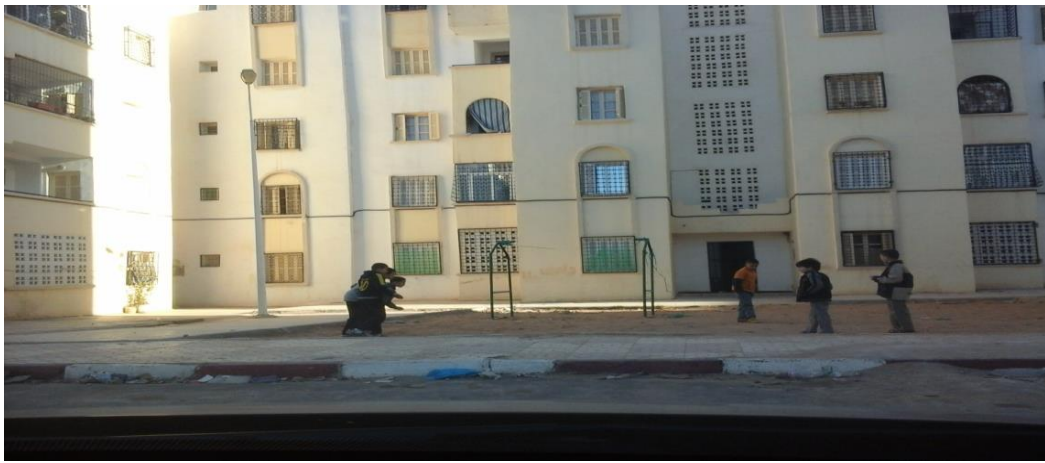
المصدر ، الباحثة ،المدينة الجديدة حملة 1 ، 2014/03/24

4- غياب المتابعة و التهيئة الدورية لفضاءات الأطفال خاصة مع قلة عددها و تزايد الضغط عليها من قبل أطفال الأحياء المجاورة ، أدى إلى إتلافها و إهمال معظم المرافق الموجودة بها ، و لقد أكد أغلب السكان أن تزايد الضغط على فضاءات الأطفال القليلة أدى إلى وجود خلافات مستمرة بين السكان حولها، الأمر الذي دفع بعضهم إلى إتلافها وهو ما تبرزه صور (الشكل 04) ، مما يبيّن عن وجود إشكالية حول تكيف السكان في ظل هذه الفضاءات في تكيف في العلاقات بين السكان التي أضحت أكثر سطحية و عنفا.

(الشكل 04): صورة تعكس مظاهر الإهمال و التخريب الذي تعرضت له مرافق اللعب الاطفال



المصدر ، الباحثة ،المدينة الجديدة حملة 1، 2014/03/24



المصدر ، الباحثة ،المدينة الجديدة حملة 1، 2014/03/24

5- تحول الفضاءات العمومية العامة كساحات المجمعات السكنية و مداخل العمارات و مواقف السيارات لفضاءات للعب الأطفال. (الشكل 05) صورة توضح لعب الأطفال في الساحات العمومية وسط العمارات في مواقف السيارات



المصدر ، الباحثة ،المدينة الجديدة حملة 1، 2014/03/24

6- حتى بالنسبة للحدائق و الملاعب وسط العمارات فعددها قليل بالنظر إلى عدد الأحياء الموجودة و عدد السكان فيها ، لهذا نجدها تتواجد في بعض الأحياء و غائبة تماما في أخرى أو في حالة سيئة جدا نظرا لغياب التهيئة و المتابعة الدورية مع الضغط المتزايد لسكان الأحياء المجاورة عليها مما يعكس مظاهر التهميش و تحديات الاندماج في ثقافة المدينة .

(الشكل 06) صور توضح مظاهر الإهمال و التخريب الذي تعرضت له بعض الملاعب و المساحات الخضراء



المصدر ، الباحثة ،المدينة الجديدة حملة 1، 2014/03/24



المصدر ، الباحثة ،المدينة الجديدة حملة 1، 2014/03/24

4-2- نتائج الدراسة الميدانية :

1- خصائص الفئات الاجتماعية المتمركزة في الحي حسب العينة :

من خلال عرض خصائص مفردات العينة نحاول أن نعطي صورة واقعية عن مميزات مجتمع البحث ، فأغلب مفردات العينة هم من الأسر النواتية بنسبة 60 %، التي استفادت من نمط السكن العصري الذي وفرته المدن الجديدة خاصة ، كما أن نسبة كبيرة منهم من ذوي فئة عمرية تتراوح ما بين 35-45 سنة بنسبة 55 % ، وبالتالي فأغلبهم من الشباب الذين استفادوا من صيغة مشاريع السكن التساهمي و السكن الاجتماعي . أما متوسط المستوى التعليمي للوالدين هو المستوى الثانوي بنسبة 40%. بالنسبة للأب و 50% بالنسبة للأم مما يعكس

طبيعة الفئات الاجتماعية المتوسطة التي تعيش في الأحياء و التي استفادت من المشروع بالنظر إلى الوظائف التي يشغلها أرباب الأسر و التي تركزت معظمها في فئات المهن الحرة بنسبة 30 %، و الموظفين بنسبة 20%، و كذا التجار بنسبة 20%، أيضا أما بالنسبة للنساء فأغلبهن بدون مهنة بنسبة 95% ، أما متوسط عدد الأبناء فيتراوح بين (3-4) بنسبة 54 % ، كما أن نسبة مهمة من مفردات العينة تنقلوا من أحياء مختلفة من داخل مدينة باتنة و من خارجها و قد توزعت النتائج بين حي بوعقال 3 بنسبة 25%، و حي الشهداء بنسبة 15%، و حي البستان بنسبة 10% ، و تقاربت لنسب بين بقية الأحياء و الدوائر و الولايات لخارجية بين حي النصر ، حي 1200 مسكن ، عيون العصافير ، كشيدة ، تازولت ، خنشلة، ورقلة ، كما يعكس الأصول الاجتماعية المتباينة للسكان ، الذين هم مزيج بين سكان الحضر و الريف الذين تنقلوا إلى هذه المدن الأمر الذي تؤثر على درجة انسجامهم و مستوى تكيفهم في المدن الجديدة و يفسر تناقضات المواقف الأسرية بشأن لعب الأبناء في الأحياء .

2- طبيعة النشاطات الترويحية التي يمارسها الأبناء في الحي :

عمدت الدراسة إلى الكشف عن وجود عادات ممارسة نشاطات ترويحية محددة بعد الدراسة لاستغلال أوقات الفراغ و كأسلوب لتنشئة الأبناء لدى الأسر القاطنة بالحي فاتضح أن 50% من الأسر عودت أبنائها على ممارسة نشاطات محددة ، في حين أقرت 50%، منها غياب نشاطات ترويحية محددة لدى أبنائها . لهذا اتجهت الدراسة إلى رصد طبيعة النشاطات الترويحية التي تتيحها الأسرة لأبنائها خلال أوقات الفراغ بعد إنهاء الدراسة ، بغية الكشف عن العادات الترويحية و الأساليب التنشئية التي تتبناها الأسرة و التي تعكس من جهة مستوى الاهتمامات الثقافية التي تميز الأسرة و المكانة التي يشغلها لعب الطفل فيها و من جهة أخرى طبيعة علاقتها بالفضاء الحضري و أهمية تواجد الطفل به ، وهو بالضبط ما أبرزته النتائج : حيث أكدت غياب نشاطات ترويحية محددة لدى أغلب الأسر التي تعتمد نسبة مهمة منها على لعب أبنائهم مع أبناء الجيران في الساحات العمومية القريبة من مساكنها وهذا بنسبة 34.61 % من الأسر ، في حين تسود مشاهدة التلفاز أو ممارسة الألعاب 23.07 % من مفردات العينة التي تفضل إبقاء أبنائها داخل المنازل لمشاهدة التلفاز أو ممارسة الألعاب الإلكترونية بنسبة 9.61%، في حين فضلت نسبة 7.69 % من الأسر حفظ القرآن الكريم ، لتتقارب النسب بالنسبة لبقية النشاطات الترويحية لدى أغلب الفئات بنسبة 5.76 % و المتمثلة في ممارسة الرياضة ، المطالعة ، الرسم و استخدام الإنترنت

مما يعكس تباين نوعية و طبيعة الممارسات الترويحية التي تتبناها الأسرة و التي تبرز اختلاف أساليب التنشئة الاجتماعية التي تعتمد عليها الأسر في تربية أبنائها بطبيعة القيم التي تتبناها و المستويات الاجتماعية التي تنتمي إليها و التي تنظم علاقتها بالمجال الحضري لهذا فقد تباينت علاقتها مع المجال الحضري إلى ثلاث أنماط بين من :

- **أسر تعتبر الفضاء العام الخارجي مجال أساسي في تنشئة أبنائها فتوجههم للعب مع أبناء الجيران في الحي وقدرها بنسبة 34.61% مما يؤكد ما أوردناه سابقا حول دور حضور الطفل في المجال الخارجي في التنشئة الاجتماعية التقليدية و تعزيز العلاقات الجوارية بين السكان ، بالتالي تأثير هذه المنظومة الثقافية التي لا يجب تجاهلها في هيكله الفضاء الحضري**

- **أسر تفضل إبقاء الأطفال في المنزل** قصد حمايتهم و الإشراف على متابعة تنشئتهم عن قرب ليصبحوا عرضة لتأثير وسائل الإعلام و الوسائط الالكترونية من العاب الفيديو إلى الإنترنت قدرها بنسبة 23.07%
- **أسر تحدد نمط النشاطات الترويحية التي يشغل بها أبنائها وقت الفراغ بين المنزل و المرافق الاجتماعية العمومية** المتوفرة بالمجمع السكني و المتمثل أساسا في النشاطات التي تتيحها القاعة المتعددة الرياضات الوحيدة في المجمع بنسبة 5.76 % وكذا المطالعة و الرسم ، لكن هذا لا ينفي اثر توفر المرافق الثقافية و قريبا على هذه الأنماط ، مما يعطينا فكرة أن قلة نسبة الأسر التي توفر لأبنائها نشاطات ترويحية متنوعة متعلق بتوفر المرافق و قدرة الأسرة على توفيرها من حيث الجهد الوقت و النفقات

3- خصائص فضاءات لعب الطفل المتاحة و موقف الأسرة الحضرية منها :

1- **الفضاءات التي يمارس فيها الاطفال نشاطاتهم الترويحية** : بالنظر إلى تباين مواقف الأسر من النشاطات الترويحية التي يمارسها أبنائهم و نمط استخدامهم للفضاء الخارجي المتمثل في الفضاءات العمومية و المرافق الاجتماعية المتاحة ، فقد اتضح تباين في تصريحات الأسر بشأن المكان الذي يمارس فيه أبنائهم نشاطاتهم الترويحية معظم الوقت حيث أقرت نسبة 50% من الأسر ان ذلك يكون غالبا في المنزل في حين صرحت نسبة 23.33% ان ذلك يكون في الساحة العمومية للحي ، أو في قاعة الرياضة الموجودة في الحي بنسبة 13.33% او جمعية الحي بنسبة 5.66%

مما يعطى فكرة عن عزوف اغلب السكان ترك أبنائهم يلعبون خارج المنازل بسبب غياب فضاءات اللعب القريبة و الآمنة ، أما الذين يتركون أبنائهم يلعبون يكون غالبا في الساحات العمومية القريبة من المنازل مع أبناء الجيران ، و قد لاحظت الباحثة أثناء الدراسة الاستطلاعية ما يؤكد أن الأطفال يتواجدون في الساحات العمومية القريبة من منازلهم و يلعبون دائما في جماعات داخل الأحياء المغلقة خاصة بالنسبة لصغار السن مع تواجد الأولياء معهم وهو ما تؤكد صور الشكل 1 ، مما يعطينا فكرة عن إدراك الأسر لأهمية اللعب بالنسبة لتكوين الطفل و لكن اتضح وجود تخوف من تواجدهم خارج المنزل من مواقفهم ، و ردود أفعال الأطفال و طريقة لعبهم والذين طالبوا بضرورة إيجاد فضاءات و حدائق و ملاعب خاصة بهم .

2- **خصائص الفضاءات التي تفضل الأسر أن يلعب فيها الأبناء** : لتأكيد النتائج السابقة طرحت الباحثة السؤال الآتي : أين تفضل أن يلعب أبنائك ؟ داخل المنزل /خارج المنزل /كلاهما ، فكانت النتائج أن 60 % من الأسر تفضل أن يلعب بناؤها داخل المنزل ، في حين تفضل 40 % منهم أن يلعب في كلا المجالين ، و تعتبر هذه النتيجة مؤشر عن عزوف السكان السماح لأبنائهم باللعب خارج المنزل وقد برروا ذلك بالحفاظ على سلامة الأبناء بنسبة 29.16 %، و غياب أماكن للعب الأطفال بنسبة 20.83 %، وكذا غياب الأمن بنسبة 14.81 ، و تقادي الشجار مع الجيران بنفس النسبة . أما الذين يفضلون لعب الأبناء في كلا المجالين فقد برروا ذلك بلعب الأطفال مع أبناء الجيران بنسبة 38% ، تقادي شجار البناء بنسبة 19.04 % و الحفاظ على ترتيب و نظافة البيت بنسبة 9.92 %، مما يؤكد حضور العلاقات الجوارية بقوة في المنظومة الثقافية المحلية للمدن لتجاوز التحديات و المشكلات التي تفرضها المدن الجديدة .

3- **خصائص الفضاءات التي يلعب فيها الأطفال خارج المنازل** : أقرت أغلب الأسر التي تسمح لأبنائها باللعب خارج المنازل أن أبنائهم يلعبون بين العمارات بنسبة 45.83% في حين صرحت 25% من مفردات العينة أن

أبناءهم يلعبون في الساحة العمومية للحي ، أما بعض الأسر فصرحت أن يأخذونهم إلى فضاءات لعب الأطفال القريبة من الحي أو قاعة الرياضة بنسب 8.33% مما يؤكد أن بعد فضاءات اللعب يحرم الطفل من اللعب باستقلالية دون وجود الأولياء مما بخلق ضغوطات على الأسر من جهة و حرمان الأطفال من جهة أخرى . لهذا فقد أقرت اغلب الأسر أنها تفضل أن يلعب أبنائها في هذه الأماكن تحديدا لقربها من المنازل بنسبة 46.15% ، و لأنها بعيدة عن حركة المرور بنسبة 25.64% و لأنها آمنة بنسبة 17.94% و لأنها نظيفة بنسبة 10.25% ، وعليه يبدو أن إصرار السكان على قرب فضاءات اللعب و أمنها كمعياران أساسيان في انتقاء الفضاءات التي يتواجد بها الأبناء .

لهذا صرح السكان أنه من بين أهم الخصائص التي لا تعجبهم في الأحياء السكنية التي يعيشون فيها هو غياب مساحات لعب الأطفال بنسبة 30.95% ، و غياب الأمن بنسبة 16.66% ، عدم محافظة السكان على المرافق المتاحة بنسبة 14.28% ، وكذا التلوث بنسبة 11.90% بالإضافة إلى عوامل أخرى و عليه فقد اقترح السكان تخصيص فضاءات للعب الأطفال قريبة من المساكن بنسبة 41.93% و كذا توفير الأمن فيها بنسبة 35.48% إلى جانب تجهيزها و المحافظة عليها و على نظافتها دائمة بنسبتي 9.67% .

في الاخير :

يبدو أن هناك إجماع بل إدراك لدى سكان الأحياء بضرورة توفير فضاءات للأطفال تحترم المقاييس العلمية في وضعها من حيث المساحة ، المسافة بالنسبة للمسكن ، الأمن ، النظافة، مع وجود المساحات الخضراء الملائمة ، نظرا لأهميتها في توجيه سياق التنشئة الاجتماعية لأبنائهم و اندماجهم في الوسط الحضري الذي يعيشون فيه ، فالمقاربة السوسولوجية للظاهرة أكدت أن تجاهل السياسة الحضرية لحضور الطفل في المجال الحضري ، جعلته حبيس التحديات التي يواجهها عالم الكبار ، في فضاء لا يستوعب أبسط احتياجاته ، لبيقيه مرتبطا بالضغوطات التي تواجهها الأسرة من جهة ، و الأولويات التي تفرضها هيكلية المجال الحضري التي تترجم تجاهل السياسة الحضرية لاحتياجاته في هيكلية الفضاء الحضري من جهة ثانية ، الأمر الذي يؤثر على سياق تنشئة الطفل و بالتالي نمط الشخصية التي تنتج عن ذلك ، ففي ظل فضاء يتجاهل احتياجات الطفل الى اللعب و الحركة و التنقل ، ينمو طفل هذه الأحياء في ضوء انساق مغلقة يشوبها التهميش و اللأم ، فتنطور شخصيته منعزلة غير قادرة على الاستقلال بذاتها أو تطوير الشعور بالأمن في فضاء لا يوفر لها ذلك ، كما تنمي فيه الإحساس بالحرمان و تدفعه لتطوير ثقافة العنف التي تعكس صور التهميش الذي يجد نفسه أضحي عرضة له .

بالإضافة إلى أن إدراك السكان لحقيقة عدم توزع المرافق الاجتماعية و الخدماتية بشكل عادل في المدينة و التي لا يشاركون في أعدادها أو تتميتها ، يعزز ثقافة الإقصاء و التمايز الاجتماعي في الأحياء الجديدة¹¹ ، هذا في ضوء غياب مؤسسات ثقافية و حضارية تُعنى بإعطاء أبعاد حضارية لهوية تلك المدن و تساهم في احتواء الساكنة في ضوء منظومة حضارية متجانسة تربط الأطر المرجعية الأصيلة بالمنجزات العمرانية ، مما يعكس سلبا على سلوكيات السكان والتي تبرز عزوفهم عن التفاعل و المشاركة في نشاطاتها أو الاندماج في فعاليتها لتصبح نشاطاتهم أكثر انحصارا داخل الجماعات التقليدية ذات الصبغة القبلية العشائرية في ظل أحياء شبه مغلقة ، الأمر الذي قد ينمي سلوكيات لا مسؤولة تبرز من خلال تشويه المرافق العمومية ، تراكم الفضلات و التلوث، التخريب ، الخ... ، مما قد يؤثر على جاذبيتها و ينبئ بفشلها وهي لا تزال في مراحلها الأولى، لهذا ولتجاوز هذه التحديات تقترح الدراسة جملة من التوصيات تتمثل فيما لي :

التوصيات :

- تحسين ظروف الإسكان في المدن الجديدة و تهيئتها لتصبح مراكز جذب كي تنمي حس المواطن بالتمدن، حتى لا تصبح المدن الجديدة أحياء هامشية خاصة اذا وصمت بهذه الصفة بسبب نقص المرافق الاجتماعية و الثقافية و خاصة فضاءات الطفل
- توفير الأمن في الأحياء الجديدة مع توحيد مقاييس تجهيز العمارات بفضاءات لعب الأطفال مزودة بالحدائق العمومية و الملاعب الجوارية في كل حي .
- توفير فضاءات للعب الأطفال قريبة ، نظيفة و آمنة من حيث المسالك المؤدية إليها البعيدة عن حركة المرور و مواقف السيارات ، و كذا من حيث طبيعة المواد المصنوعة منها ، لتفادي الإصابات و أخطار السقوط بالنسبة للأطفال.
- إعطاء الأولوية لفضاءات لطفل مميزة أساسية لتزقية السكن و إضفاء سمة الحياة على المدن الجديدة و إنجاح عملية اندماج سكان فيها و هذا تفادي مشكلات العزلة و خلق بؤر التوتر الاجتماعي التي قد تجعل المدن الاجتماعية فضاء للعزلة و الاغتراب .
- ضرورة تحسين وضعية التجمعات السكانية من حيث توفر الهياكل و توزيعها التي تعطى هويتها الاقتصادية و الثقافية و بالتالي توفير المرافق الاجتماعية و الخدماتية التي تفتح أبوابها قبل إسكان السكان حتى لا تتحول تلك المجمعات السكنية إلى مرادف
- توفير المرافق الثقافية و الحضارية التي تتكفل بتنشيط المساحات المفتوحة و مراكز التسلية و الترفيه العائلي و كذا مساحات لعب الأطفال التي تلعب دورا في امتصاص التوترات الاجتماعية و إحساس السكان بالعزلة و بالتالي أحياء الروابط الاجتماعية و تنمية الحس المدني فيها ، فمع ان هناك مساحة شاسعة في مدخل المدينة إلا أنها غير مهيأة لاستيعاب احتياجات الأسر لفضاءات التنزه و لعب الأطفال و الاستجمام .
- تشجيع السكان على المشاركة الاجتماعية و خلق فضاءات لإحياء نشاطات اجتماعية و ثقافية هادفة يشارك فيها الأطفال بفعالية لتجاوز إشكالية العزلة و الاستبعاد الاجتماعية في ضوء الأحياء المغلقة .

الهوامش :

غي روشيه ، مدخل إلى علم الاجتماع العام ، تر: مصطفى دندشلي ، المؤسسة لعربية للدراسات و النشر ، بيروت ، 1983 ،¹ ص164.

عبد الرزاق جدوع محمد ، "لعب الأطفال في فكر الإمام الغزالي" ، العدد الثلاثون ، مجلة الفتح ، جامعة ديالي ، العراق ، 2007 ، تم² على الرابط www.iasj.net/iasj?func=fulltext&ald=16980 ، 2014/1/2014 استرجاعه في

2010. ص123. السيد عبد القادر شريف ، التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة ، دار الفكر العربي ، القاهرة³ ، الأردن ، 2014 ص 213. فؤاد محمد الشريف بن غضبان ، التحضر و الحضرة في ظل عالم متغير ، دار البياروري⁴ حسين عبد الحميد رشوان ، مشكلات المدينة ، دراسة في علم الاجتماع الحضري ، المكتب العربي الحديث ، الإسكندرية ، 2002 ،⁵ ص2 .

. محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع الحضري ، مدخل نظري ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1995 ، ص125⁶ فؤاد بن غضبان ، علم الاجتماع الحضري ، ط1 ، دار الرضوان ، الاردن ، 2014 ، ص ص 49-51⁷

عبد الباقي إبراهيم ، التراث الحضاري في المدينة العربية المعاصرة ، مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية ، القاهرة ، ب ت ، ص 8
10

رمعون ، "الطفل ، المدرسة و الشارع :حالة الجزائر " ، مجلة إنسانيات ، الطفولة و التمدرس ، عدد 28 ، 2008 ، تم نورية بنغبريط⁹
الرابط insaniyat.revues.org/2276?lang=ar استرجاعه في 2013/12/31 ، على الرابط

حفيظي ليليا ، المدن الجديدة و مشكلة الإسكان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2008¹⁰
روث لبتون و أن بارو ، "الاستبعاد لاجتماعي و الأحياء السكنية" ، في : /الاستبعاد الاجتماعي ، تر: محمد الجوهري ، سلسلة عالم¹¹
المعرفة ، عدد 344 ، 2007 ، ص 203.